المحاضرة الثانية عشرة -١٢-
العرب والحرب العالمية الأولى (الجزء الثاني)

١- مراسلات الحسين مكماهون:

بعث الحسين برسالته الأولى إلى مكماهون في ١٤ يوليو ١٩١٥م وقد تحدث فيها عن حقوق العرب ومصالحهم وتقاربها مع المصالح البريطانية في المنطقة وعرض الشروط التي يتعاون معهم على أساسها، وهي الشروط نفسها التي تضمنتها مذكرة زعماء "ميثاق" دمشق السالفة الذكر، وأضاف إليها شرطا آخر وضعه بنفسه، وهو وجوب اعتراف بريطانيا بخلافة عربية[١]، فأجابه مكماهون في ٢٠ أغسطس ١٩١٥م برد غامض ومطاط كرر فيه تعهد حكومته باستقلال العرب وبإقامة خلافة عربية، ولكنه لم يحدد مدى الإستقلال ولا مساحة الدولة.

وعلّل تحفظه بأن البحث في التفاصيل استباق للأحداث. وقد تجنب الكلام على سوريا والعراق، وهو الموضوع الأهم بالنسبة إلى الحركة العربية. وتحدث عن الخلافة وموضوعها ثانوي لأنه أدرك اهتمام الحسين شخصيا بها.

وفي يوم ٩ سبتمبر ١٩١٥م أرسل الحسين رسالته الثانية، وذكر فيها أن ممثلي الشعب هم الذين وضعوا مطلب تحديد الدولة العربية المستقلة[٢]، فلا يجوز ترك الموضوع رهنًا للظروف ولا يمكن إقامة أي حلف بين الطرفين قبل التفاهم على الحدود. فأجابه مكماهون يوم ٢٤ أكتوبر ١٩١٥م[٣] بأن بريطانيا تتعهد بان تعترف باستقلال العرب وبأن تضمن ذلك الاستقلال في المنطقة التي ذكرها الحسين في رسالته، باستثناء مرسين واسكندرونة وما هو غربي خط دمشق، حمص، حماه، حلب. كما أبدى مكماهون تحفظ حكومته تجاه الإمارات العربية التي سبق أن عقدت

---

[١]- خيرية قاسمية، (المصدر السابق)، ص ٢٨. وللإطلاع أكثر أنظر سليمان موسى، الحركة العربية، ط٣، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ص ٢٠٣.

[٢]- نفسه، ص ٢٩.

[٣]- محمد فاروق الخالدي، (المرجع السابق)، ص ١٨٧.

اتفاقات خاصة مع بريطانيا وطالب مكماهون بوضع البصرة وبغداد تحت إدارة خاصة.

وافق الحسين، في رسالته المؤرخة باليوم ٥ نوفمبر ١٩١٥م[٤] على استثناء ولاية أضنة ولكنه رفض استثناء اسكندرونة وما إلى الغربي من خط دمشق، حمص، حماه، حلب. وقبل التحفظ تجاه الإمارات المتعاقدة مع بريطانيا من قبل، ورفض التحفظ تجاه العراق[٥].

أجابه مكماهون يوم ١٣ ديسمبر ١٩١٥م بردّ غامض حول مصير العراق، أما غربي سوريا فأصر على حفظ مصالح فرنسا فيه.

وفي رده الأخير، وافق الحسين على أن تبقى ولايتا البصرة وبغداد في يد انجلترا[٦] بمقابل تعويض يترك أمر تحديده (لحكمة الإنجليز وعدلهم وأجل مصير سوريا إلى ما بعد الحرب) لأنه أدرك أن هذه التحفظات من قبل مكماهون إنما هي بنتيجة اتفاقات ثنائية بين الدولتين الحليفتين[٧].

هكذا نلاحظ أن الشريف حسين بدأ مذكرته الأولى مع السيد السير مكماهون نائب ملك بريطانيا في ١٤ يوليو ١٩١٤م تبعتها خمس رسائل ردّ عليها مكماهون برسائل مماثلة انتهت الأخيرة في ١٠ مارس ١٩١٦م[٨] وكلها أصبحت تعرف في التاريخ برسائل الحسين مكماهون.

ويشير في هذا المضمار المؤرخ جورج انطونيوس إلى أنه بهذه المذكرة "٢٤ أكتوبر ١٩١٥م" انتهت المفاوضات والصفقة قد تمت، وجاءت باقي المذكرات وكانت كلها تدور حول الإعداد للثورة[٩].

---

[٤]- جورج أنطونيوس، (المصدر السابق)، ص ٢٦٦.

[٥]- للإطلاع أكثر أنظر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص ٤٥٥. وأنظر كذلك خيرية قاسمية (المصدر السابق)، ص٢٩.

[٦]- نفسه، ص ٤٥٧.

[٧]- أنظر محمد رفعت، التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٦٤م، ص ١١٢.

[٨]- نفسه، ص ١١٣.

[٩]- جورج أنطونيوس، (المصدر السابق)، ص ٢٦٤.

وقبل الشروع في هذه الأخيرة لا بأس أن نشير إلى بعض الملاحظات الهامة لهذه الرسائل منها ما يلي:

- لغة التبجيل والمبالغة في التعظيم للشريف حسين[١٠].
- مراوغة وشدّة مخادعة مكماهون الذي كان لا يخطو خطوة ولا يتفوه بكلمة قبل أن يرجع لحكومته ويأخذ رأيها فيما تلقاه. أما الشريف حسين فلم يكن بأقل منه تحفظا ودهاءً وكان دائما يرجع إلى الميثاق.
- دام تبادل الرسائل ثمانية أشهر استعملت فيها بريطانيا التأويل والردود المبهمة والعرب ركزوا على العهد الواضح والصريح لاستقلالهم[١١].
- تمت جميع المراسلات باللّغة العربية وبأسلوب غامض معقد. وكانت المراسلات من الطرفين تترجم إلى لغة الآخر[١٢].
- تنازل الشريف حسين على عدد من القضايا دون ضمانات كافية لوعود بريطانيا من ذلك: ولايتي إسكندرون ومرسيين والمناطق الشمالية من سوريا والموافقة على مصالح فرنسا في بيروت لما بعد الحرب والمصالح البريطانية في بغداد.

٢- ثورة العرب عام ١٩١٦م:

بعد فشل جمال باشا الحاكم العام على سوريا وقائد الجيش العثماني الرابع المرابط فيها في حملته على السويس أخذ يلاحق الزعماء العرب وأمعن في النفي والتشريد. ففي ٣١ أغسطس ١٩١٥م نفذ حكم الإعدام في ١١ شخصا في بيروت، وفي ٦ مايو ١٩١٦م شنق سبعة شهداء في دمشق و١٤ في بيروت.

ووصول الحملة العثمانية المتجهة نحو اليمن إلى المدينة المنورة قد أقنعت الأطراف المعنية أن الوقت قد حان لإعلان الثورة في يونيو ١٩١٦م في مكة المكرمة دون أن تتم الاستعدادات لها[١٣].

---

[١٠]- محمد فاروق الخالدي، (المرجع السابق)، ص ١٨٧.

[١١]- قدري قلعجي، (المرجع السابق)، ص ١٩٣.

[١٢]- محمد فاروق الخالدي، (المرجع السابق)، ص ١٨٨.

[١٣]- خيرية قاسمية، (المصدر السابق)، ص ٣٠.

ولم يعد في الإمكان تأخيرها خاصة عند أولائك الذين نجوا من الإعدام، فأخذوا يلحون بوجوب القيام بالثورة حالا.

وفي غمرة هذه الأحداث الصعبة، التقت المصالح العربية والمصالح الإنجليزية على أرض الثورة، فاستغل الإنجليز هذه التطورات، ووضعوا الحركة العربية أمام الأمر الواقع، وأعلنوا أن الثورة ستقوم في ظل المعونة الانجليزية، وستبدأ في الحجاز.

وفي ١٠ يونيو ١٩١٦م، أطلق الحسين بن علي من قصره في مكة المكرمة الرصاصة الأولى نحو ثكنة الأتراك إيذانا بإعلان الثورة. وأبرق فيصل إلى آل بكري في دمشق معلنا بدء الثورة ليستعدوا للأمر.

ونشر الحسين منشورا ضمنه الأسباب التي دعت إلى قيام الثورة مركزا على الناحية الدينية موجها عداوته لجماعة الإتحاد والترقي الذين تسلطوا على الدولة وحرفوها عن سبيل الحق والدين، لا للشعب التركي ولا للدولة العثمانية. فحطم بذلك فكرة الجهاد الإسلامي[١٤]. ... ووصف الثورة بأنها واجب قومي وديني وفرصة هيأتها الحرب لتحقيق الاستقلال.

هكذا قامت الثورة العربية في الوقت الذي كانت فيه رحى الحرب تدور في الشرق بين الأتراك والحلفاء، يوم لهم ويوم عليهم سرًّا بين الشريف حسين والإنجليز[١٥].

أما عن ردود فعل هذه الثورة فكانت متباينة، ففي الجزيرة العربية لاقت تأييد بعض الحكام وفي مصر استقبلها الموالون للدولة العثمانية بامتعاض، بينما استقبلتها الجاليات السورية والعراقية بحماس، أما الرأي العام في العالم الإسلامي رأى فيها خيانة للإسلام[١٦] وأضعاف للخلافة العثمانية، هذه الأخيرة أصابها الذهول من نبأ الثورة ولم تنشر أخبارها إلا فيما بعد مشوهة مع الإقلال من قيمتها[١٧].

---

[١٤]– خيرية قاسمية، (المصدر السابق)، ص ٣٠.

[١٥]– محمد رفعت، (المرجع السابق)، ص ١١٣.

[١٦]– خيرية قاسمية، نفسه.

[١٧]– نفسه.

وفي الأيام الثلاثة الأولى استسلمت الحامية العثمانية في مكة المكرمة، وزحفت القوات العربية بنجاح في الجهات الأخرى، فحررت جدة والطائف وسائر مدن الحجاز ما عدا المدينة المنورة التي بقيت محاصرة حتى أواخر الحرب. وسدت منافذ البحر الأحمر وحالت دون وصول الحملة العثمانية الألمانية الذاهبة إلى اليمن.

وأمام هذه النجاحات بويع الحسين ملكا على البلاد العربية في نوفمبر ١٩١٦م بالرغم من اعتراض الحلفاء الذين لم يعترفوا به ملكا على الحجاز فقط إلا في يناير ١٩١٧م* بعد مفاوضات ومراسلات استغرقت شهرين.

بعد نجاح الثورة في الحجاز، تابعت القوات العربية زحفها إلى الشمال بقيادة فيصل فاشتبكت بالقوات العثمانية في سواحل الحجاز الشمالية. وكان العقيد "لورنس" الإنجليزي يساعد الأمير فيصل في العمليات العسكرية، وهو ضابط ارتباط بين القوات العربية والإنجليزية. وقد دمرّ العرب أثناء زحفهم، سكة حديد الحجاز[١٨] ونسفوا الجسور، ليحولوا دون إرسال الإمدادات العثمانية، ووصلوا تقدمهم شمالا حتى احتلوا العقبة في يونيو ١٩١٦م[١٩] واتخذوها قاعدة لعملياتهم الحربية.

وكان من نتائج هذه الثورة أن أفاد نجاحها الحلفاء، وأضعف معنويات العثمانيين في البلاد العربية وأحبط الخطط العسكرية لهم ولحلفائهم الألمان. فقد التحق بالثورة كثير من الجنود والضباط العرب، ولجأ جمال باشا إلى سياسة البطش والاعتقال والتعذيب ولكنه اضطر إلى التخفيف من هذه السياسة، للتهديد الذي تلقاه من قيادة الثورة بقتل الضباط الأسرى من الأتراك[٢٠] وجذبت الثورة إلى صفوفها عشائر بلاد الشام فساعدت جيوش "أللنبي" "Allenby" على احتلال جنوبي فلسطين ثم بلاد الشام[٢١] لأن القوات العربية كانت تحمي أطرافها الشرقية.

---

*– وقد أصبح لقب الحسين كما يظهر في كتبه الرسمية بين مجموعة أوراق محب الدين الخطيب. (الحسين ابن علي شريف مكة واميرها وملك البلاد العربية). (خيرية قاسمية، المصدر السابق، ص ٣١).

[١٨]– محمد رفعت، (المرجع السابق)، ص ١١٣. وانظر كذلك توماس إدوارد لورنس، أعمدة الحكمة السبعة، ط١، ترجمة: أكرم مؤمن، مكتبة إبن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠١٧م، ص ٢٦٢.

[١٩]– نفسه.

[٢٠]– نفسه، ص ١١٩.

[٢١]– نفسه.

وضع الانجليز خطة عسكرية ترمي إلى أن يتابع جيش "أللنبي" الزحف على فلسطين والجيش العربي الزحف على شرقي الأردن ومنها إلى دمشق وذلك تهيئة لهم إلى دخول فلسطين بقواتهم وإبعاد الجيش العربي عن تحريرها تمهيدا للانتداب عليها وتنفيذ وعد بلفور؟؟!!!

وقد تقدم جيش "أللنبي" في فلسطين، فسقطت كل من غزة، والخليل وبيت لحم، ويافا والقدس يوم ٩ ديسمبر ١٩١٧م[٢٢] وتقدم الجيش العربي في شرقي الأردن، واتصل فيصل بشيوخ حوران وجبل الدروز "جبل العرب بعد الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥-١٩٢٧م" وبعدد من زعماء دمشق واتفقوا على الانضمام إلى الجيش عند اقترابه منهم.

وبعد أن احتلت القوات العربية درعا اتجهت نحو دمشق التي سبقتهم إلى إعلان الاستقلال ورفع العلم العربي على دار الحكومة في ٣٠ سبتمبر ١٩١٨م وتأليف حكومة مؤقتة برئاسة الأمير سعيد الجزائري[٢٣].

وأصر الانجليز على أن تدخل قواتهم دمشق جنبا إلى جنب مع الجيش العربي في الفاتح من أكتوبر ١٩١٨م، وبعد عشرة أيام غادرت فصائل عربية دمشق لتحتل حمص وحماة وحلب في السادس والعشرين من نفس الشهر "٢٦ أكتوبر ١٩١٨م" وأرسل الجيش العربي قوة دخلت بيروت ورفعت العلم العربي على دار الحكومة.

غير أن هذه الفرحة لم تدم طويلا أمام احتجاج فرنسا الشديد على ذلك التي أنزلت في ٢٨ أكتوبر ١٩١٨م قوة عسكرية في لبنان كانت قد أعدتها لهذا الغرض من أن لبنان كان محتلا من طرف القوات الإنجليزية التي أيدت الخطوة الفرنسية وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على التآمر الانجليزي الفرنسي على العرب حيث أمر أللّنبي صديق العرب بإنزال العلم العربي عن دار الحكومة دون أن يرفع مكانه علم آخر[٢٤]!!!

---

[٢٢]- قدري قلعجي، الثورة العربية الكبرى "١٩١٦-١٩٢٥م"، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٥، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م، ص ٢٥٤. (المرجع السابق)، ص ١٩٣.

[٢٣]- قدري قلعجي، (المرجع السابق)، ص ٢٦٢.

[٢٤]- نفسه، ص ص ٢٦٤، ٢٦٥.

٣- تآمر الحلفاء على القضية العربية:

في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تعاهد فيه العرب على منحهم الحرية والاستقلال والاعتراف لهم بقيام دولة عربية كبرى مقابل مساعدتهم لها، كانت تعقد الإتفاقيات السرية مع حليفاتها لتقسيم أملاك الدولة العثمانية بما فيها البلاد العربية، قبل أن تنتهي الحرب، فوعدت روسيا بالقسطنطينية والمضايق وفرنسا بسوريا ولبنان، وبريطانيا بالعراق[٢٥] والمناطق العربية التي تؤثر في طريق الهند.

وكانت بريطانيا تريد إرضاء حلفائها بأي ثمن، وتريد في الوقت نفسه جذب العرب إلى جانبها، وكسب تأييد الصهيونية العالمية واليهود الرأسماليين.

فدخلت في سلسلة من المحادثات تكيل فيها الوعود وتعقد المعاهدات بما يرضي كل فئة، تاركة أمر التخلص من هذه العهود المتناقضة إلى تسويات ما بعد الحرب. وكان ما يمس القضية العربية مباشرة -إلى جانب مراسلات حسين مكماهون- هو اتفاق سايكس بيكو ووعد بلفور[٢٦].

٤- اتفاق سايكس بيكو ١٦ مايو ١٩١٦م:

اتفقت الدول الحليفة الثلاث "فرنسا وانجلترا وروسيا" على اقتسام أملاك الدولة العثمانية أما الجزء الخاص باقتسام الدول العربية فقد عرف باتفاق "سايكس بيكو" وهما المندوبان اللّذان وقعا باسم حكومتيهما "بريطانيا وفرنسا". وقد تم توقيعه يوم ١٦ مايو ١٩١٦م قبل إعلان الثورة العربية بشهر واحد، أي في الشهر نفسه الذي أعدم فيه الشهداء العرب، وبعد المراسلات بين الحسين ومكماهون. وبمقتضى هذا الاتفاق قسمت بلاد الشام والعراق إلى المناطق الآتية:

---

[٢٥]- أنظر في ذلك: كارل بروكلمان، تاريخ السعودية الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط١٠، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م، ص ص ٤٤٥، ٤٤٦.

[٢٦]- أحمد إبراهيم عبد الله وآخرون، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ج١، مطابع البعث، دمشق، سوريا، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ٢١٨.

١. **المنطقة الزرقاء:** وتشمل الساحل السوري من رأس النافورة إلى قلب الأناضول وفي ذلك كيليكية. وقد لونت باللّون الأزرق على الخريطة المرافقة للاتفاق، وهذه المنطقة تعطى لفرنسا ولها أن تقيم فيها شكل الحكم الذي تشاء.

٢. **المنطقة الحمراء:** وقد لونت باللّون الأحمر، وتشمل بغداد والبصرة، تعطى لبريطانيا ولها أن تقيم فيها شكل الحكم الذي تشاء[٢٧].

٣. **المنطقة السمراء:** وتشمل فلسطين، وتقام فيها إدارة دولية، إرضاءً لروسيا، يعيّن شكلها مع الحلفاء، ومن بينهم روسيا وشريف مكة المكرمة.

٤. **المنطقة الداخلية:** وقد تركت بلا لون، وقسمت إلى منطقتي (أ) و(ب) على أن تؤلف منها دولة عربية مستقلة أو اتحاد دول عربية، وعلى أن يكون لفرنسا في منطقة (أ) (داخل سوريا الشمالية وفيها الموصل) ولانجلترا في منطقة (ب) (بقية العراق وشرقي الأردن) حق الأولوية في المشروعات الاقتصادية والقروض، وحق الانفراد في تقديم المستشارين والموظفين الأجانب[٢٨].

وتدخل اسكندرونة في منطقة فرنسا على أن يكون ميناؤها حرًّا لتجارة بريطانيا وتدخل حيفا في منطقة بريطانيا على أن يكون ميناؤها حرًّا لتجارة فرنسا.

ويتعهد كل من الطرفين ألا يتنازل عما له من حقوق في المنطقة المخصصة له، وأن لا يعطي تلك الحقوق لدولة أخرى، سوى الدولة العربية، من دون موافقة الطرف الآخر[٢٩].

وهكذا نرى أن هذا الاتفاق نقض صريح لاتفاق الحسين–مكماهون، فقد مزق الوحدة العربية وحرم الشام والعراق من استقلالهما ووضع فلسطين تحت الوصاية الدولية.

---

[٢٧]– نفسه، ص ٢١٨. وأنظر كذلك: محمد رفعت، التوجيه السياسي...، (المرجع السابق)، ص ص ١٢٤، ١٢٥. وانظر كذلك: خالدة أبلال الجبوري، الأبعاد السياسية للحكم الهاشمي ١٩٤١–١٩٥٨م، ط١، الناية للدراسات والنشر والتوزيع، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١٢م، ص ص ٢٥، ٢٦.

[٢٨]– أحمد إبراهيم عبد الله وآخرون، (المرجع السابق)، ص ٢١٩. للإطلاع أكثر أنظر: توماس إدوارد لورنس الشهير بلورانس العرب أعمدة الحكمة السبعة، ترجمة إلى اللغة العربية وعلق عليه أكرم مؤمن، مكتبة إبن سينا، القاهرة، مصر، ٢٠١٧م، ص ٢٣٢ وما بعدها.

[٢٩]– نفسه.

ولم يعلم العرب بهذا الاتفاق الذي بقي سرًا إلى أن نشره الشيوعيون بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧م في روسيا، فنقله الأتراك إلى العرب ليضعوا في أيديهم الخديعة التي أوقعهم فيها حلفاؤهم، وأرسل جمال باشا نص الاتفاق إلى فيصل وهو في العقبة، وعرض عليه الصلح واستعداده للدخول في مفاوضات للاعتراف باستقلال البلاد العربية استقلالاً ذاتيا بضمانة ألمانية[٣٠]. فسارع فيصل بإرسال الكتاب إلى أبيه، وطلب الحسين من الإنجليز توضيح أمر هذا الاتفاق السري، فأجابه مكماهون، على لسان وزارة الخارجية الإنجليزية، يشكر له موقفه من محاولة جمال للإيقاع بين العرب والحلفاء ويؤكد له أن بريطانيا وحلفاءها مصممون على الوقوف بجانب العرب[٣١] وأن هذا الاتفاق ليس معاهدة رسمية، بل هو مجرد تبادل وجهات النظر ومباحثات بين الحكومتين الحليفتين[٣٢].

وأخيرا يشكر الحسين على جهوده، ويحذر من الاتصال بالأتراك ومن الإصغاء إلى مشروعات جمال باشا للتفاهم مع العرب، والجدير بالذكر أن الإنجليز تعمدوا التباطؤ قدر الإمكان في إرسال الجواب، فلم يصل ردّ وزارة الخارجية على استفسار الحسين إلا في يونيو ١٩١٨م، أي بعد حوالي عام.

ويقول لورانس أنه أخبر الأمير فيصل بخفايا الاتفاق المذكور، وحذره من النيات البريطانية قبل أن يذيعه الشيوعيون. وقد زار بطلا الاتفاق (مارك سايكس وجورج بيكو) جدة في مايو ١٩١٧م، وكان كل منهما على رأس وفد حكومي يمثل بلاده، واجتمعا طويلا إلى الحسين، وزعما فيما بعد أنهما لم يخفيا حقيقة الاتفاق عن الثورة ويفاوضوا الأتراك[٣٣].

وهكذا نلاحظ أن الشريف حسين يقتنع بشرف بريطانيا ويمضي في تأييدها حتى بعد أن ظهرت له المطامع الاستعمارية البريطانية!!!؟

---

[٣٠]– نفسه، ص ٢٢٠. وانظر كذلك محمد رفعت، (المرجع السابق)، ص ١٢٧.

[٣١]– نفسه. وأنظر كذلك خالدة أبلال الجبوري، (المرجع السابق)، ص ٢٧.

[٣٢]– محمد رفعت، (المرجع السابق)، ص ١٢٧.

[٣٣]– أحمد إبراهيم عبد الله وآخرون، (المرجع السابق)، ص ٢٢٠.

٥- تصريح أو وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧م[٣٤]:

لم تكن الحرب العالمية الأولى إلا لتحقيق أطماع انجلترا الإستعمارية والاقتصادية ولذلك استغلت انجلترا هذه الحرب إلى أقصى حد. فبينما كان مكماهون يعقد اتفاقه المشهور مع الشريف حسين، كان سايكس يقتسم مع بيكو ممتلكات الدولة العثمانية، وكذلك كان وعد بلفور محققًا لمصالح انجلترا.

ففي الفاتح من نوفمبر ١٩١٧م أرسل "بلفور" وزير خارجية بريطانيا كتابًا إلى "روتشيلد" زعيم الحركة الصهيونية نص على أن «حكومة جلالة ملك انجلترا تنظر بعين الارتياح إلى إنشاء وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليا انه لا يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يَتمتع به اليهود في البلدان الأخرى»[٣٥].

حاولت الرقابة البريطانية منع نشر هذا الوعد، ولكن المصادر الألمانية والتركية نشرته قبل فضح اتفاق "سايكس بيكو" رسميا بأيام قليلة. وقد خلق هذا الوعد حيرة وقلقا في أرجاء الوطن العربي. ووصل النبأ أولاً إلى مصر وأثار موجة من الاحتجاج لدى الزعماء العرب المقيمين بالقاهرة، وجاهدت السلطات البريطانية مدة من الزمن لتقضي على مخاوف العرب وتمنع انتكاس الثورة، مستعينة برقابة صارمة ودعاية نشيطة[٣٦].

لذلك كان طبيعيا أن يحتج الشريف حسين وأن تتزعزع ثقة الزعماء العرب في حسن نوايا الحلفاء والإنجليز خاصة نحو العرب. وقد أحس الإنجليز بحرج موقفهم إزاء الشريف حسين فبعثوا إليه بمندوب خاص عرف بميوله نحو العرب وبحوثه في شبه جزيرة العرب هو "هوجارث" "Hogarth" من المكتب العربي في القاهرة وقد كلفوه أن يؤكد له أن تصريح بلفور لن يتعارض مع حرية العرب وصيانة حقوقهم

---

[٣٤]- انظر توماس إدوارد لورانس...، (المصدر السابق)، ص ٣٢٨.

[٣٥]- نفسه، ص ٣٢٩.

[٣٦]- أحمد إبراهيم عبد الله وآخرون، (المرجع السابق)، ص ٢٢١.

الاقتصادية والسياسية والوعود المقطوعة لهم على حين أن التصريح نفسه لم يتضمن صيانة هذه المصالح[٣٧].

وبذلك تبددت مخاوف الحسين حتى إنه قال لهوجارث: «ما دامت الغاية من وعد بلفور هي أن يهيئ لليهود ملجأ من الاضطهاد فإنه سيبذل جهده لتحقيق هذه الغاية، وسيوافق على كل تدبير نراه مناسبا لتأمين الأماكن المقدسة والإشراف عليها من قبل أتباع كل مذهب من المذاهب له معابد مقدسة في فلسطين»[٣٨].

وأرسل الحسين إلى أتباعه في مصر وإلى رجال الثورة العربية يخبرهم بتاكيدات الحكومة البريطانية، ويحثهم على أن يستمروا على إيمانهم بعهود بريطانيا وعلى جهودهم لنيل الحرية[٣٩].

ونجحت السلطات البريطانية في مصر بتبديد مخاوف العرب من الأمور السياسية التي انطوى عليها وعد بلفور، ولم تكتف بذلك بل أرسلت إلى القاهرة لجنة صهيونية برئاسة الزعيم الصهيوني "وايزمن" "Weizmann" في طريقها إلى فلسطين تقابلت مع الزعماء العرب وطمأنتهم على مصالحهم في فلسطين، وأعلنت أن اليهود على استعداد لأن يتعاونوا مع العرب في كل ما من شأنه النهوض بفلسطين[٤٠].

---

[٣٧]- خالدة أبلال الجبوري، (المرجع السابق)، ص ٢٨. وانظر كذلك: محمد رفعت، (المرجع السابق)، ص ١٣٢.

[٣٨]- أحمد إبراهيم عبد الله وآخرون، (المرجع السابق)، ص ٢٢١.

[٣٩]- نفسه.

[٤٠]- محمد رفعت، (المرجع السابق)، ص ١٢٣.